- **الديانة الهندوسية**

❖ **التعريف**

يطلق عليها أيضاً البرهمية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله. كما أنه لا يوجد لها مؤسس معين، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون.

❖ **التاريخ**

قد مرت الهندوسية بأطوار ثلاثة:

الطور الأول: كانت فيه هندية خالصة، وانتهى هذا الطور في القرن الثالث قبل الميلاد.

الطور الثاني: وهو طور التأثر بالعقائد الأخرى، وكان بعد دخول الإسكندر للهند، واختلاط الهنود بجنوده الذين كانوا خليطاً من من اليونانيين، والمصريين، والآراميين، والكلدانيين، والفرس، وغيرهم.

الطور الثالث: وقد بدأ بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)[1].

❖ **الانتشار ومواقع النفوذ:**

كانت الديانة الهندوسية، تحكم شبه القارة الهندية وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس في نظرتيهما إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمها؛ كان ذلك سبباً في حدوث التقسيم حيث أُعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأيها الشرقي والغربي والتي معظمها من المسلمين، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس والمسلمون فيها أقلية كبيرة.

❖ **العقائد**

إن مما يلاحظه الدارس للديانة الهندوسية أنها ديانة خالية من العقائد الرئيسية الجامعة، وهذا مما يقر به علماؤها.

يقول الزعيم الهندي غاندي: "ومن حظ الديانة الهندوسية أنها ليست لها عقيدة رئيسية، فإذا سئلت عنها فأقول: إن عقيدتها هي عدم التعصب، والبحث عن الحق بطرق حسنة، وأما الاعتقاد بوجود خالق وعدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي، سواء آمن أم لم يؤمن".

ويقول كذلك: "ومن حظ الديانة الهندوسية أنها تخلت عن كل عقيدة، ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية، والجواهر الأساسية للأديان الأخرى".

---

[1] انظر: مدخل إلى دراسة الأديان، للدكتور مسعود حايفي، ص: 113.

ويلاحظ على الهندوس تقديسهم لكل جديد، واعتبارهم لكل مصلح: رسولاً، وإلها بصورة بشر، وهذا ما حدا بعض الباحثين أن يعرف الهندوسي بأنه: الذي ولد بين أبوين هندوسيين، بغض النظر عن العادات والتقاليد والعبادات[1].

ومع هذا فإن للديانة الهندوسية مبادئ وعقائد عامة، ذكرها عامة من كتب عنهم، ويكادون يجمعون عليها ومن أبرزها:

- **أولاً: الوثنية**

الهندوسية ديانة وثنية، ومنشأ الوثنية فيها يعود إلى كون معتنقيها يعبدون القوى المشاهدة المؤثرة في الكون حسب زعمهم، ثم جسدوا تلك القوى واعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، ومن هنا وجدت عبادة الأصنام، لحلول تلك القوى فيها، حتى وصلت آلهتهم إلى ثلاث وثلاثين مليونا، ثم حصروها في ثلاث:

1. **براهاما، أو برهمن.**

الإله الخالق المانح للحياة، والقوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء فيرجى لطفه، وينسبون إليه الشمس التي بها الدفء وتجري عن طريقها الحياة في الأجسام، فهي مظهره المحسوس.

2. **سِيْفا أو سِيْوَا**

الإله المخرب المُفْنِي، الذي يصفر الأوراق ويهرم الشباب، وينسبون إليه النار التي لا تبقى ولا تذر، فهي مظهره المحسوس.

3. **وِيْشنُو أو بِشَن**

يعتقد الهندوس أن الإله ويشنو حل في المخلوقات ليقي العالم الفناء التام.

وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم (أجزاء) لإله واحد، والإله الواحد هو الروح العظمى ويسمونها "آتما". ودون هذه الآلهة الثلاثة آلهة من الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ولكن علماء دينهم (البراهمة) يرجعونها إلى الآلهة الثلاثة.

ومن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى ولا يوجد أي فارق بينها. وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث[2].

---

[1] دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، لعبد الرحمن الأعظمي، ص: 531-532.
[2] الموسوعة الميسرة، (726/2).

⇐ **ومن مظاهر الوثنية الهندوسية :**

✓ عبادة الأبقار:

حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة، وأرفع درجة، لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانت تدر عليهم فوائد كثيرة، فوضعوا في كتابهم المقدس أبياتا لتمجيدها، ووصفوها بأنها (ابنة الإله، ومركز الحياة، وهي مصدر العلم عندهم (تأمل!!) ولذا فإن الهندوس يعبدونها ويقدسون روثها، وأحب الصدقات عند الهندوس الصدقة للبقرة. ولا يجوز للهندوكي أن يمسها بأذى أو بذبحها وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية.

✓ وأنواع من الزواحف كالأفاعي وأنواع من الحيوان كالقردة.

➢ **ثانياً: خلق الكائنات في الفكر الهندوسي**

تقرر كتب الهندوس أن إلههم (برميشور) (الإله الأكبر عندهم) ظهر بمادة التكوين، وخلق الماء، وألقى فيه النطفة، فأصبحت بيضة، وخرج منها الإله(برهما)، وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني: السماء والأرض، وما بينهما، والجهات الثمانية، والبحور المتموجة، ثم أخرج من فمه طائفة (البراهمة)، ومن عضده طائفة الكشتري، ومن فخذه طائفة (الويشيا)، ومن رجله طائفة الشودرا، فما دام برهاما مستيقضاً فالدنيا باقية، فإذا أخذه النوم تقع القيامة.

ولهم في قصة الخلق روايات أخرى عديدة ترويها كتبهم المقدسة، بينها الدكتور الأعظمي[1]، وكشف عما بينها من تناقضات، ويلاحظ على هذه الروايات أنها دائرة بين اعتقاد التمثيل والتجسيم، واعتقاد التعطيل التام الذي يؤول إلى إنكار وجود الخالق، وليس هذا مجال التفصيل.

➢ **ثالثاً: الحلول ووحدة الوجود**

الحلول: يعتقد الهندوس أن بعض آلهتهم حلت في إنسان اسمه كرشنه، فالتقى فيه الإله بالإنسان أو حل اللاهوت في الناسوت، وأن كرشنه هذا هو البطل الوديع وأنه قدم شخصه فداء للخليقة عن ذنبها الأول، وأن الأعمال التي يأتي بها لا يستطيع غيره الإتيان بعشر معشارها.

وقد ولد كرشنه من عذراء اسمها دِيْفَاكِى، وينسبون إلى ولادته الأساطير من أن الأرض سبّحت وظهر نجم في السماء، وأن وجه أمه أصبح يرسل نوراً لولادته، وأن الإله ويشنو الابن قد حل فيه.

وعند المقارنة بين ما يقوله المسيحيون في المسيح والهندوس في الكرشنه نجد تقارباً شديداً كادا أن يتطابقا، فإن كانت البرهمية أسبق في الوجود عُلِم الآخذ من المأخوذ منه، وأصبح الفرق واضحاً بين الأصل وما تفرع منه.

---

[1] دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند-عبد الرحمن الأعظمي، ص: 608-614.

وحدة الوجود: التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار والأنظمة والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة وتصير النفس هي عين القوة الخالقة.

أ - الروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة.

ب - العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة.

ت - هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا. وللهندوس عقيدة تسمى: أفتار، بمعنى (النزول)، يراد بها أن الرب ينزل إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر، كما جاء في كتابهم المقدس (كيتا).

- **رابعاً: خلود النفس وتناسخ الأرواح (أواكمن)**

النفس في نظر البراهمة جوهرٌ صافٍ خالد عالم مدرك تام العلم، ما دام منفصلاً عن الجسد، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه، ونقص علمه.

فالنفس خالدة باقية لا يتطرق إليها الفناء ولا تبلى، ولذا يقول بَاسِيْدِيُو لآرِيْجَن - وكلاهما إله - ويحرضه على القتال وهما بين الصفين: (إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً، فاعلم أنهم ليسوا بموتى، كما أنا لسنا ذاهبين ذهابا لا رجوع بعده، لأن الأرواح غير ميتة ولا متغيرة، وإنما تترد في الأبدان مع درجات الحياة في الإنسان، من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة ثم الشيخوخة، التي يعقبها موت البدن ثم العودة إلى بدن آخر).

فالنفس أبدية الوجود لا عن ولادة، ولا تنتهي إلى تلف أو عدم، بل هي ثابتة دائمة، لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يَغُصها ولا ريح تنثرها، بل تنتقل من بدن إلى بدن آخر، فهي أشبه ما تكون باستبدال الإنسان لباسَه بلباسٍ آخر.

يتضح مما سبق عقيدتهم في تناسخ الأرواح الذي امتازت به الديانة البرهمية، فتظل الروح تنتقل من جسم إلى جسم آخر، وترتقي، حتى تصل إلى الكمال المطلق، وتلتحم بالملائكة وتتصرف في شؤون الكون كما تشاء، وكما تريد، وتلك هي الأرواح الصالحة.

وإن كانت الروح قد ارتكبت خطايا أثناء حلولها في أحد الأجسام، ترتكس إلى حيوان لتكفر عن خطاياها، وتطهر من سيئاتها، وإن لم تستطع تهبط وتهوى درجةً درجة حتى تدخل جهنم.

فالروح لا تختص بجسم واحد، بل ربما دخلت تلك الروح مئات الأجسام قبل هذا الجسم.

⇐ **ومما يتعلق بعقيدة التناسخ عند الهندوس:**

✓ **عقيدة النِرفانا، وقد تسمى بالانطلاق**

فلقد غلبت نزعة التشاؤم على الحياة الهندوسية، فاحتاج علماؤهم إلى عقيدة النرفانا للتخلص من هذا التشاؤم، ومعنى: (نرفانا): النجاة، وهي حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة، فقضى صاحبها على شهواته الحيوانية، ورغباته المادية والجسدية، ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد، فيحصل له النرفانا (النجاة) من الجولان، وتتحد الروح بالخالق.

ومن ثمرات النرفانا: فناء الشخصية، والاتحاد بالجوهر الذاتي، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصاً من الجسم المادي، لتعلو الروح إلى العالم العلوي، فإن النار هي إحدى مظاهر الألوهية، وهي بدورها تقرب إلى الذات العليا.

➢ **خامساً: عقيدة حرق الموتى والحياة الآخرة**

يعتقد أتباع الديانة البرهمية أن الأجسام عند حرقها بالنار، تعلو شعلتها فتتجه إلى الأعلى، وبهذا تصعد الروح إلى الملكوت، وتتخلص من غلاف الجسم، ولا يتم ذلك إلا بإحراق آخر جزء من أجزاء الجسم. فإذا تخلصت الروح بالحرق كان أمامها عوالم ثلاث:

1. عالم الملائكة
2. عالم الناس
3. عالم جهنم

فالبعث موضع اتفاق بين أتباع الديانة البرهمية وأنه للأرواح لا الأجساد[1].

❖ **الكتب المقدسة[2]**

للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة وقد أُلّفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة وأهمها:

1. **الفيدا veda**: وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود. وهي تتألف من أربعة كتب:
   - رج فيدا أو راجا فندا (أي الفيدا الملكية): وفيها ذكر للآلهة.
   - يجور فيدا Yajur veda: يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

[1] انظر: الموسوعة الميسرة، (726/2)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، لعبد الرحمن الأعظمي، ص: 598-633، مدخل إلى دراسة الأديان، للدكتور مسعود حايفي، ص: 117-119.
[2] الموسوعة الميسرة، (724/2، 725).

- سم فيدا Sama veda: ينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية.
- أثروا فيدا Atharva veda: عبارة عن مقالات من الرقى والتمائم لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين.

وكل واحد من هذه الفيدات يشتمل على أربعة أجزاء هي:

أ- سمهتا: تمثل مذهب الفطرة، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لآلهتهم قبل زحف الآريين.

ب- البراهمن: يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين.

ج- آرانياك: وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات.

د- آبا نيشادات: وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية.

2. **قوانين منو**: وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد الذي تمثل في (الجينية والبوذية). وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات بين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها.

3. **كتب أخرى**

أ- ممها بهارتا: ملحمة هندية تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان ومؤلفها (وياس) ابن العارف (بوسرا) الذي وضعها سنة 950 ق.م وهي تصف حرباً بين أمراء من الأسر المالكة، وقد استركت الآلهة في هذه الحرب.

ب- كيتا: تصف حرباً بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، وينسب إلى كرشنا فيها نظرات فلسفية واجتماعية.

ت- يوجا وأسستها: تحتوي على أربعة وستين ألف بيت، ألفت ابتداء من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس، فيها أمور فلسفية ولاهوتية.

ث- رامايانا: يعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية وفيه خطب لملك اسمه (راما).

❖ **الطبقات عند الهندوس**[1]

منذ أن وصل الآريون إلى الهند شكلوا طبقات ما تزال قائمة إلى الآن، ولا طريق لإزالتها لأنها تقسيمات أبدية من خلق الله (كما يعتقدون).

وردت الطبقات في قوانين منو على النحو التالي:

1- **البراهمية**: وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه: منهم المعلم والكاهن، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

2- **الكاشتر**: وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه، يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع.

3- **الويش**: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية.

4- **الشودر**: وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاثة السابقة الشريفة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة.

❖ **خلاصة**[2]

يتضح مما سبق أن الديانة الهندوسية مزيج من الفلسفة الهندية والديانتين اليهودية والمسيحية، كما أنها عقيدة محدودة الأتباع. ويعتقد الهندوس أنها جاءت عن طريق الوحي، ولو صح هذا فلا بد أنه قد حصل لها الكثير من التحريف والتبديل حتى أصبحت أسلوباً في الحياة أكثر مما هي عقيدة واضحة المعالم. وتشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار... إلى غير ذلك من أنواع الوثنية التي تتنافى مع أبسط قواعد التوحيد. كما أن التقسيم الطبقي فيها يتعارض مع كرامة الإنسان ويجعلها بعيدة عن الوحي الرباني.

[1] الموسوعة الميسرة، (726/2، 727).
[2] الموسوعة الميسرة، (730/2، 731).